المجاز

هو البحث الذي كنا وعدنا بهِ في الكلام على التعريب نوردهُ في هذا الموضع وفآءً بالوعد واجابةً لما لم يزل يتواتر الينا من رسائل الادبآء في تقاضيهِ وهو تتمة كلامنا فيما تقدم لنا في مجلة البيان تحت عنوان اللغة والعصر نعود فيهِ على ذلك البدء ولو تأخر موعدهُ والامور مرهونةٌ باوقاتها

وقد قدّمنا هناك أن طرق الوضع يمكن ان تنحصر في ثلاث وهي الارتجال والاشتقاق والمجاز وقد مضى القول في الاولين واما المجاز فالمراد بهِ هنا المجاز اللُّغَويّ وهو المجاز في المفرد ويدخل تحتهُ الاستعارة والمجاز المُرسَل وفي كلا هذين كلامٌ طويل نقتصر منهُ على ما يتعلق بغرضنا في هذا المقام

فاما الاستعارة فهي ان يُستعمَل في الشيء لفظ شبيههِ . واللفظ المستعار قد يكون اسماً لذاتٍ كما يسمَّى البياض الذي يغشى سواد العين بالكوكب أُطلق عليهِ لفظ الكوكب لما بينهما من الشبَه في الهيئة . وقد يكون شيئاً من لوازم الذات اما جزءًا منها كتسمية الطُنُف الذي يُشرَع خارجاً عن البنآء بالجَناح تشبيهاً لهُ بجناح الطائر اذا بسطهُ في الهوآء . واما معنًى من المعاني المختصّة بها نحو نطقت الحال بكذا اي دلّت عليهِ فانهُ على تشبيه الدلالة بالنطق في الابانة والوضوح

ثم الجزء المستعار قد يكون هو المقصود بالتشبيه كالجناح في المثال فان المراد منهُ تشبيه الطنف نفسهِ بجناح الطائر من غير نظر الى الطائر ولا الى ما اتصل بهِ الطنف من البنآء فهو من الاستعارة التحقيقية كما سيجيء لتحقق ما

استعير لهُ بحيث يجوز تصوُّر كلٍّ من المشبَّه والمشبه بهِ مجرَّداً عما اتصل بهِ وليس من الاستعارة المكنيّة في شيء اذ لا معنى لتشبيه البنآء بالطائر كما لا يخفى . وقد يُذهَب به الى تشبيه ما أُثبِت ذلك الجزء لهُ بالذات التي هو منتزَعٌ منها كقولهم فلانٌ على جناح السفر اذا كان متأهباً لهُ فان المقصود من اثبات الجناح للسفر تشبيه السفر بالطائر في سرعة المزايلة لا تشبيه شيءٍ من السفر بالجناح كما هو ظاهر فهو من الاستعارة التخييلية وفي السفر استعارةٌ بالكناية

والضابط في كون الجزء مستعاراً بنفسهِ او قرينةً على الاستعارة فيما يليهِ انهُ ان كان وجه الشَبَه حسّيًّا كما في جناح الدار فالجزء هو المستعار وما يليهِ قرينةٌ على المجاز وان كان عقليًّا كما في جناح السفر فالاستعارة فيما أُثبت لهُ ولا مجاز في الجزء نفسهِ على الصحيح

واما ما كان المستعار فيهِ احد المعاني المختصّة بالمشبه به مثل النطق من قولنا نطقت الحال بكذا اي دلّت عليه فانهُ يجمع الطرفين لانهُ لا يخلو من وجود مشبَّهٍ بازآئهِ من لوازم المستعار لهُ كالدلالة فيما ذُكر فهو من الاستعارة التحقيقية . وهو مع ذلك يُثبَت لغير ما هو لهُ كالحال في المثال فهو قرينةٌ على الاستعارة فيما أُثبت لهُ وهو ما يتناول من مذهب المحققين

فتحصَّل من ذلك ان الاستعارة في الجملة على ضربين احدهما ما يُذكر فيهِ لفظ المشبَّه به ويُترَك لفظ المشبه كما في استعارة الكوكب للبياض في العين ويقال لها الاستعارة المصرَّحة للتصريح فيها بلفظ المستعار منهُ . والثاني ما يُذكَر فيهِ لفظ المشبَّه ويُترك لفظ المشبه بهِ لكن يُكنَى عنهُ باثبات

شيءٍ من لوازمهِ للمشبَّه كما في استعارة الطائر للسفر في المثال المتقدم فان الطائر لا ذكر لهُ في اللفظ ولكن كُني عنهُ باثبات الجناح الذي هو من لوازمهِ للسفر وتسمى الاستعارة بالكناية او المكنيّة . ثم المشبه اما ان يكون من الامور المتحققة اي التي يمكن تصورها والنصّ عليها كما في المثال الاول فتسمى الاستعارة تحقيقية واما ان يكون لا حقيقة لهُ كما في المثال الثاني اذ لا شيء في السفر يمكن تشبيههُ بالجناح كما تقدم وانما ذُكر ليستفاد منهُ تشبيه السفر بالطائر على سبيل التخييل ويسمى اثبات هذا اللازم استعارةً تخييلية . والمراد من كلتا الاستعارتين واحد وهو دعوى ان المشبه من جنس المشبه بهِ الاّ ان المكنية ولا شك ابلغ من المصرحة لان قولك مثلاً رأيت رجلاً يفترس الابطال اقوى في معنى الشبه من قولك رأيت اسداً يرمي النبال وان كان الحاصل من كلتيهما واحداً لان الافتراس يقتضي الاسديّة فهي مفهومةٌ ضمناً وقد زيد عليها الافتراس الذي هو من لوازمها فكانت كالدعوى ببيّنة . ومن هنا يُعلَم انهُ كلما كان اللازم في المكنيّة اخصّ بالمشبه بهِ كانت الاستعارة ابلغ ولذلك كانت استعارة الجزء ابلغ من استعارة اللازم المعنويّ . ولهذا المعنى فكثيراً ما يصرَّح بذكر الجزء مع ذكر اللازم فيقال في نطقت الحال نطق لسان الحال لان اللسان اظهر في التشخيص اذ هو آلة النطق وجزءٌ من اجزآء المشبَّه بهِ ومثلهُ قولك ركب فلانٌ الباطل وركب متن الباطل وشحذ رأيهُ وشحذ غِرار رأيهِ وقس على ذلك ما اشبههُ . وربما صُرّح بالذات المشبَّه بها رأساً فيقال نطق خطيب الحال مثلاً وركب فلانٌ مطيّة الباطل وشحذ سيف رأيهِ وحينئذٍ فلا استعارة في الذات على

الاصحّ وانما هو ضربٌ من التشبيه المؤكَّد وهو الذي حُذفت اداتهُ واضيف فيهِ المشبه به الى المشبه على حدّ لجُين المآء وما جرى مجراهُ . وهذا كثيرٌ مستفيضٌ في الاستعمال كقولك أَجلتُ الرأي وأجلتُ قِداح الرأي وانبتَّ شملهم وانبتَّ حبل شملهم وطويت الحديث وطويت بساط الحديث وأضرم الشرَّ بينهم واضرم نار الشرّ واستصبحتُ بعلم فلان واستصبحت بنبراس علمهِ الى ما اشبه ذلك

واعلم ان الاستعارة من ادقّ ابواب البيان مأخذاً واكثرها تفصيلاً بل لا يُبعِد كثيراً من قال هي البيان كلهُ . وللقوم في ضروبها ومناحيها وتحقيق انواعها ولاسيما الاستعارة التخييلية منها ما تَسدَر من دونهِ البصائر وتكبو في مجالهِ جياد الخواطر ولذلك وقفنا فيها عند التقسيم الذي مرّ بك ولعلهُ اقرب تناولاً واوضح سبيلاً فضلاً عما فيه من استيعاب ما لم يتعرضوا لهُ والله ملهم السداد (ستأتي البقية)

الهوآء الاصفر

انتشر هذا الوبآء المشؤوم في القطر على حين لم يمرّ طيفهُ ببال ولم يتمثل لهُ في صفحة الوهم خيال وعلى حين تيقُّظ الحكومة لاقامة امنع السدود في وجههِ وانفاق الاموال الكثيرة في سبيل توقيّهِ واذ البلاد تقوم وتقعد لما سطع فيها من الحريق الذي دمرّ ما يقرب من سبعين بلداً في شهر واحد وترك عشرات الالوف من اهلها على انقى من الراحة واذ الطاعون قد ضرب اطنابهُ في الثغر الاسكندري منذ اربع سنين وهو كالمريض لا يفتك فتكتهُ